تاريخ الموريسكيين في مدينة غرناطة

أ.د. ماهر صبري كاظم(*)

مقدمة

لقد استمر التاريخ الأندلسي في شبه الجزيرة الأيبيرية لمدة ثمانية قرون حتَّى أواخر الحكم الإسلامي في مدينة غرناطة آخر المدن الأندلسية عندما تم تسليمها إلى السلطات المسيحية المتمثلة بمملكة أراغون ومملكة قشتالة في عام (٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م)، فظهرت إلى الوجود مشكلة المُسلمين في هذهِ المدينة وباقي مدن الأندلس، فقد تمحورت الدراسة في هذا البحث عن الوسائل التي استخدمها الأندلسيون في ظل ضغط الكنيسة من جهة والسلطات المسيحية الحاكمة للبلاد من جهة ثانية، لذا أراد الباحث الكشف عن أحوال المُسلمين في مدينة غرناطة بالتسلسل التاريخي والتركيز على مصطلح الموريسكيين الذين أصبحوا ينادون به خلال القرن السادس عشر الميلادي وهم الذين أعلنوا وتظاهروا بالديانة المسيحية لإخفاء دينهم الإسلامي عن محاكم التفتيش التي تأسست لهذا الغرض، فإن لهذا الموضوع أهمية كبيرة في الدراسات الموريسكية، فرغم ما كتب عن الموريسكيين إلا أن القارئ العربي لا يزال بحاجة للمزيد عن تاريخ الموريسكيين وأحوالهم العامة فلا زالت هنالك وثائق غير منشورة تحتاج إلى التحقيق والبحث خاصة المصادر الأجنبية والوثائق والمخطوطات باللغة الأعجمية (أي بلغة الخميادو).

حاول الباحث تسليط الضوء على تاريخ الموريسكيين منذ نشأتهم حتَّى قرار الطرد النهائي في عام (١٠١٨هـ/ ١٦٠٩م)، وتحديداً في مدينة غرناطة؛ لأن هذهِ المدينة شهدت أحداث ذات أهمية في التاريخ الأندلسي ومنها انطلق مصدر القرار وإعلان الثورات والتمردات ضد السلطات المسيحية فضلاً عن إنها ألهمت باقي المدن الأندلسية برفض القرارات الجائرة بحق الموريسكيين لذا جاء اختيار هذهِ المدينة عن باقي المدن الأندلسية. فجاءت جهود الباحث في توثيق تلك الأحداث المفقودة في بعض جوانبها للوصول إلى صورة واضحة المعالم عن الموريسكيين

(*) الجامعة المستنصرية / كلية الآداب
Mahir-sabry@gmail.com

وأحوالهم العامة في مدينة غرناطة، فقد اعتمد الباحث على المنهج الوصفي التاريخي في عرض الأحداث التاريخية.

لقد قسم الباحث محتويات البحث إلى أربع مباحث بحسب التسلسل التاريخي وأهمية الموضوع، حيث كان عنوان المبحث الأول: نهاية الحكم الإسلامي في مدينة غرناطة، فقد أعطى الباحث وصفاً تاريخياً عن تصارع الأحداث والضعف الذي أدى بسلاطين مدينة غرناطة تسليم المدينة إلى ملوك مملكة قشتالة ومملكة أراغون ضمن بنود معاهدة التسليم في عام (٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م).

وجاء المبحث الثاني بعنوان: نشوء الموريسكيين وثورة غرناطة الكبرى، عرض الباحث الوقائع والأحداث التاريخية، ومعاناة المُسلمين الأندلسيين في ظل الحكم المسيحي الذي مارس ضغوط ومضايقات على سكان غرناطة لإجبارهم على اعتناق الدين المسيحي الكاثوليكي وبداية تداول مصطلح الموريسكيين في الوثائق التاريخية مما أدى إلى حدوث ثورات منها ثورة البيازين وثورة البشرات ثم قاموا بثورة غرناطة الكبرى في عام (٩٧٦هـ/ ١٥٦٨م).

ثم المبحث الثالث بعنوان: أوضاع الموريسكيين في ظل محاكم التفتيش والفتاوى الإسلامية، وضح فيه الباحث اثر الكنيسة المسيحية في إنشاء محاكم التفتيش لتتبع وتعقب ومطاردة الموريسكيين الذين يمارسون شعائر الدين الإسلامي بشكل سري فضلاً عن استخدام محاكم التفتيش وسائل التعذيب وأصدرت أقسى العقوبات بحق الموريسكيين، في الجانب الآخر اظهر الباحث أهم الفتاوى الإسلامية مثل فتوى الونشريسي وفتوى بو جمعة المغراوي وهذهِ الفتاوى موجهة للمورسكيين.

أما المبحث الرابع والأخير جاء بعنوان: قرار الطرد النهائي للموريسكيين؛ حيث يوثق فيه الباحث قرار الطرد النهائي الإجباري بحق الموريسكيين في عام (١٠١٨هـ/ ١٦٠٩م) وتطبيقه على الغرناطيين في مدينة غرناطة ومعاناتهم وما تعرضوا له أثناء الهجرة إلى الدول الإسلامية في الشمال الأفريقي.

لقد اعتمد الباحث على جملة من المصادر الأولية والمراجع الحديثة والمترجمة كذلك المصادر الأجنبية (باللغة الاسبانية وباللغة الانكليزية) فضلاً عن الدوريات والرسائل والاطاريح الجامعية والتي أفادت البحث كثيراً، ومن تلك المصادر الأصيلة: مخطوط (التفسير) الذي يتحدث عن معاناة الموريسكيين في مدينة غرناطة للمؤلف اريبالو افاد البحث في المبحث الثاني والثالث، وكتاب (نفح الطيب) للمقري (ت١٠٤١هـ/ ١٦٣١م) الذي استفاد منه الباحث في المبحث الأول والثاني؛ وكذلك كتاب (ناصر الدين على القوم الكافرين) للحجري (ت١٠٥١هـ/ ١٦٤١م) الذي أغنى المباحث الثاني والثالث والرابع.

وقد وظف الباحث المراجع الحديثة في جوانب البحث لاسيما كتاب (انبعاث الإسلام

في الأندلس) للكتاني الذي أفاد البحث كثيراً في جميع جوانبه، أما المصادر الأجنبية فكان كتاب: (المُسلمون في اسبانيا ١٥٠٠-١٦١٤م) لهارڤي والذي أفاد البحث لما فيه من معلومات تاريخية مفيدة في الشأن الموريسكي، كذلك كتاب (مسلمو مملكة غرناطة بعد عام ١٤٩٢م) للمؤرخ باروخا فهو من الكتب المترجمة من اللغة الاسبانية إلى اللغة العربية وإفادة البحث بشكل كبير خصوصا في المبحث الثاني، فضلاً عن بقية المصادر والمراجع الأخرى.

الكلمات المفتاحية: المُسلمون – الموريسكيون – الأسبان – محاكم التفتيش – الفتاوى الإسلامية – الطرد.

المبحث الأول

نهاية الحكم الإسلامي في مدينة غرناطة

بعد أن سيطرت الممالك المسيحية على المدن الأندلسية فلم يتبق سوى سلطنة غرناطة خلال القرن السابع الهجري / الرابع عشر الميلادي، إذ كان يحكمها سلاطين بني الأحمر، وكانت سلطنة غرناطة تعرف بالأندلس الصغرى، والتي تشمل ضمن حدودها مدن أندلسية وهي مالقة والمرية فضلاً عن مدينة غرناطة [١]. استمر الحكم الإسلامي فيها قرنين ونصف بشكل وراثي من الأب إلى الأولاد وأبناء العم أو أخوة السلطان فيما بينهم إذ تولى على الحكم أكثر من عشرين سلطاناً بين القوة والضعف وبين الهدوء والاضطراب، فقد عقدت عدة معاهدات للسلم بين سلطنة غرناطة والممالك المسيحية المتمثلة بمملكتي قشتالة واراغون[٢]. استفادت سلطنة غرناطة من موقعها الجغرافي وذلك بوصول الإمدادات والمساعدات من بلاد المغرب الإسلامي خاصة المساعدات الحربية فضلاً عن بعدها عن الممالك المسيحية في الشمال، فبعد سقوط المدن الأندلسية توافدت أعداد كبيرة من الأندلسيين المهاجرين إلى سلطنة غرناطة وكان قسم كبير منهم من أصحاب المهن اليدوية والأعمال الفنية كذلك كان من بينهم العلماء والأدباء مع وجود الفرسان والمقاتلين في صفوفهم[٣]. لقد كانت الاتفاقيات والمعاهدات السلمية هي بداية تنازلات حكام سلطنة غرناطة إلى ملوك الممالك المسيحية التي سيطرت على مواقع جغرافية ذات أهمية كبيرة ونتيجة لذلك فلم تنفع جهود الدولة المرينية في المغرب لاستعادة الأراضي الأندلسية[٤]. ففي أواخر الحكم الإسلامي لسلطنة غرناطة في عام (٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م) حدث صراع داخلي على الحكم بين الأخوين (أبي الحسن الغالب بالله) وأخيه (أبو عبد الله الزغل) ولتسوية الأمور بين الطرفين انقسمت سلطنة غرناطة إلى قسمين، فسيطر أبي الحسن الغالب بالله على المنطقة الشمالية بينما استحوذ أخيه أبو عبد الله الزغل على المنطقة الجنوبية، وفي نفس الوقت اتحدت الممالك المسيحية من خلال الزواج الملكي بين ملكة قشتالة (إيزابيلا) وملك أراغون (فرناندو) والذي

عـرف بالزواج السـياسي[٥]. لقـد أدى الصراع عـلى الحكم داخل أسرة بنـي الأحمر إلى ضعف سـلطنة غرناطـة، فـكان السـلطان أبي الحسـن الغالب بالله لديه زوجتان الزوجة أولى (عائشة الحـرة) ولديها مـن الأبنـاء أشـهرهم (أبو عبد الله مُحَمَّـد الصغـير)، وأمـا الزوجـة الثانيـة من أصـول رومية تسـمى (ثريا) والتـي أنجبت له مـن الأولاد، ونتيجـة للتنافـس عـلى المناصب تـم اسـتبعاد السـيدة عائشـة الحـرة وأولادهـا وحجزهـم في قلعـة داخل قصر الحمـراء الذي يعـد دار إقامة سـلاطين غرناطـة، إلا أن الذي أنقذهـم مـن هذا الحجـر أعيان السـلطنة وهم من(بنـي سراج) فعزم الابن أبـو عبد الله مُحَمَّد الصغـير بالتحالـف مـع عمـه عبـد الله الزغل ضد أبيه مما أدى إلى تنازل السـلطان أبي الحسن الغالـب بـالله عن الحكـم لأخيه الزغل فاشـتد الـصراع بـين أبـو عبـد الله مُحَمَّد الصغـير آخر سـلاطين غرناطـة وبـين عمـه الزغـل[٦]. لقد وصف ابـن الأزرق نهاية الـدول التي يتصارع حكامهـا على المناصب من اجل السـلطة والمال كـما هـو الحـال في سـلطنة غرناطة بقولـه: «إن الترف مفسـد للخلق بما يوهم النفس من ألوان الـشر والسفسـفة، فتذهـب منهم خـلال الخير التـي كانـت علامة على نيـل الملـك ويتصفون بنقيضيهـا مـن خلال الـشر الدالة عـلى الأدبار والانقـراض وتأخـذ الدولـة مبـادئ العطب، وينـزل بهـا أمـراض مزمنـة مـن الهـرم إلى أن يقـضى عليهـا»[٧]. فـكان موقـف ابـن الأزرق الرافـض للفتنة التي حدثت في عهد السـلطان أبي الحسـن الغالب بالله فلم يبايع السـلطان أبو عبد الله مُحَمَّد الصغير بل انتقد ذلك الوضع مع مجموعة من فقهاء غرناطة[٨]. فانقسمت المدينة بـين الطرفـين، وخاض السـلطان أبـو عبد الله مُحَمَّـد الصغير حربـاً ضد الممالك المسـيحية مع عـدد كبير من فرسـان غرناطة ممـا أدى إلى اسر السـلطان أبو عبد الله مُحَمَّـد الصغير، ثم بدأت المراسـلات لفك اسر السـلطان فقـرر الملكيين الكاثوليكيـين بإطلاق سراحـه، وعند عودته لم يرحب به واعتبر من احد رعايا الملكيين فتفرق سـكان غرناطـة بـين الزعيمـين، واسـتمرت المعارك بينهما[٩]. مع اسـتمرار حركة الاسترداد من قبل الممالك المسـيحية بزعامة مملكة أراغون لاسـتعادة الأراضي الأندلسـية مـن سـيطرة المُسلمين، استمرت معها الاشتباكات والمعارك القوية من جهة ومن جهة أخرى بإعلان الأمان لجميع المُسـلمين دون التفريق بينهم سـواء من استسـلم أو من جـاء إليهم طواعيـة مع إعطاء الوعود لهـم بالعيش الكريم وممارسـة حريتهم الدينيـة مع حريـة الحركة والتجـارة، مما اضطر أبـو عبـد الله الزغل إلى عقد معاهدة سـلام مع الملكيـين الكاثوليكيين وعزل نفسـه عن الناس وانتقـل إلى بلاد المغـرب، فتوجهت الأنظار إلى السـلطان أبو عبد الله مُحَمَّـد الصغير وإلى مدينة غرناطـة فتعاطف سـكان المدينة معـه وجعلوه سـلطاناً عليهـم وسـلموه قـصر الحمـراء[١٠]. في عـام (٨٩٦هـ/ ١٤٩١م) قـرر الملـكان الكاثوليكيـان حصـار مدينـة غرناطـة والذي استمر لمدة ثمانية أشهر وعشرة أيام مع استمرار أعـمال تخريـب الحقـول وتقطيـع الأشـجار في الأراضي المزروعـة وتخللتهـا أيضاً اشـتباكات

بين الطرفين قتل فيها عدد كبير من الفرسان مع عـدد من الأسرى مـن كلا الجانبين، فأصبحت لدى الغرناطيون القناعة بعدم جدوى المقاومة ولديهم الرغبة بالهدنة مع الملكيين الكاثوليكيين لان مدينـة غرناطة تفتقـر للدفاعات مما طالب السـلطان أبو عبـد الله مُحَمَّد الصغـير بمعاهدة سلام لغرض التوصل إلى شروط تسليم المدينة ولإظهار حسن النية سلم بعض من أبنائه لقادة وناس بارزيـن في المدينة كرهائن[١١]. في أواخر نفس العام تم التوقيع بين الطرفين على معاهدة الاستسـلام المتمثلـة بتسـليم مدينـة غرناطـة بحصونهـا وقصورهـا بشـكل سـلمي ومتفـق عليـه إلى الملكيين الكاثوليكيين ويبلغ عدد بنود المعاهـدة اثنـان وأربعـون بنداً وأضيفـت إليها بنـود عديدة اغلبهـا لصالح السـلطان أبو عبد الله مُحَمَّـد الصغـير فيما يتعلـق بكيفيـة الخروج مـن مدينة غرناطة ونقل أملاكـه وأمواله ومقر إقامتـه فبلغـت سـبعة وسـتون بنـداً في مجملها واهـم ما جـاء فيها هي حرية العقيدة وممارسـة الشـعائر الدينية في دور العبـادة مع ضمان لحياة المُسـلمين وأموالهـم وإطـلاق سراح الأسرى المُسـلمين وتقديم التسـهيلات لمن يريد الهجرة منهـم وعدم إجبار أي مسـلم عـلى التحول إلى الديـن المسـيحي أو وضـع أي علامـة خاصـة تميزه عـن باقي أفـراد المُجتمع وان هـذهِ البنود لم تنفذها السـلطات المسيحية لاحقاً[١٢]. بعدها تقـدم جيش الملكين الكاثوليكيـين باتجاه مدينة غرناطـة في بدايـة عـام (٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م) وخرج في اسـتقبالهم السلطان أبي عبد الله مُحَمَّد الصغـير بتسـليم القصـور والحصـون وأبـراج قصر الحمراء مع وضع الصليب والراية الملكية وهي إشـارة لبسـط السـيطرة على الحصون أما المُسـلمين فقـد بقـوا في منازلهم، وبعدهـا بعام رحـل السـلطان أبو عبـد الله مُحَمَّـد الصغير إلى بلاد المغرب، ثم طلبت الكنيسة الكاثوليكية من الملكيـين بإصدار أمراً بمتابعـة اجتثاث العقيدة الإسـلامية وإجبار المُسـلمين بالتعميد ومن لا يرغـب بذلك يسـمح له ببيع أملاكـه وترحيله إلى بـلاد المغـرب زاعمـين بـان ذلـك لا يخرق بنـود المعاهدة بـل يثبت السـلام والطمأنينة في المدينة[١٣]. فكان الوضع سيء للغاية كما وصف في ذلـك النص التاريخي: «...اشـتد الحال على النـاس بالجوع وقلة الطعـام وأدرك الجوع كثيرً من الناس الميسورين، فاجتمع أعيان الناس من الخاصة والعامـة والفقهاء والأمناء والأشـياخ والعرفـاء ومـن بقي مـن أنجاد الفرسـان ومن لهـم النظـر بغرناطـة...»[١٤]. ثـم قـام رجـال الكنيسـة والمسـؤولين عنهـا بحملات التبشـير المسـيحية من خلال جمـع علماء مدينـة غرناطة وفقهاءها ودعوتهم إلى اعتناق الديانة المسيحية الكاثوليكيـة فتظاهـر البعض من المُسـلمين بها بشـكل طوعي خشية الاضطهاد أو لنيل مكانة عندهـم وحـاول البعـض الآخـر الاحتجـاج وغالبـاً مـا تـم تهديدهـم بالعنـف مـع انتشـار مظاهر حـرق الكتب والمصاحف الإسـلامية.[١٥] وفي ظل هذه الظروف أصدرت السـلطات المسـيحية بمعاملـة المسـيحيين الجـدد معاملـة حسـنة وفي الوقـت نفسـه نـشر تعاليـم الديانة المسـيحية وعـدم إجبـار احـد عـلى تغيـير دينه لكـن الأحداث كانت تتجـه نحو إنهاء الوجود

الإسلامي في جميع الممالك الاسبانية ومنها مدينة غرناطة.[١٦] فعلى الرغم من تبني سياسة التسامح الديني من قبل السلطات المسيحية على المسيحيين الجدد إلا أنها مرحلة الهدوء النسبي لإعادة تنظيم نفسها في إعداد الحملات الدينية والفكرية ضد المُسلمين الأندلسيين في غرناطة فضلاً عن تزايد الاستيطان السكاني فيها من قبل المسيحيين القدامى في محاولة لإزالة سمات وخصائص لكل ما هو أندلسي وما يمت صلة بالدين الإسلامي في مدينة غرناطة[١٧].

المبحث الثاني

نشوء الموريسكيون وثورة غرناطة الكبرى

إن أول الصراع الذي حدث بين السلطات المسيحية والمُسلمين في مدينة غرناطة عندما انقسمت المدينة إدارياً إلى قسمين منطقة للمسيحيين ومنطقة للمسلمين خلال عام (٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م) وتم تخطيط المدينة بهذا الشكل وأصبح لكل حي شخص يكون مسؤولاً عنها، ثم بدأت حملة التبشير المسيحية ثم حملة التحول القسري الإجباري إلى الديانة المسيحية الكاثوليكية منذ عام (٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م)، فقاموا بتحويل المساجد إلى كنائس ومنع الأذان والوضوء والاستحواذ على الأراضي ومن يعارض تلك القرارات يحكم عليه بالسجن أو عقوبة التعذيب مما أدى إلى وقوع اشتباكات وظهرت حالة من التمرد على تلك الحملة في مدينة غرناطة[١٨]. بدأت السلطات المسيحية الاسبانية بعد سبع سنوات من معاهدة التسليم بإجبار المُسلمين الأندلسيين على تحويل دينهم إلى الديانة المسيحية التي لم تنجح فيها السلطات بأسلوب الترغيب مما اضطرت إلى إتباع أسلوب القمع والحزم ضد المُسلمين الأندلسيين[١٩]. فقد ذكر المؤرخ هارڤي عن تلك الحقبة التاريخية بقوله: «... فخلال الأيام الأولى التي أعقبت سقوط غرناطة في أواخر تسعينيات القرن الخامس عشر الميلادي وأوائل القرن السادس عشر الميلادي كان هنالك هجوماً على اللغة العربية موجه بشكل أساسي ضد النصوص الدينية حيث قام (ثيسنيروس)[٢٠]، بإشعال الكتب الإسلامية في ساحة باب الرملة بعد وقت قصير من إصدار المرسوم الأول للتحول الديني»[٢١]. فقد أجبرت السلطات المسيحية الاسبانية السكان على تسليم الكتب العربية والتي يقدر عددها بآلاف الكتب ليتم حرقها ويستثنى منها كتب الطب والعلوم الطبيعية.(٢٢) ونتيجة لتلك الأحداث قامت ثورة حي البيازين في مدينة غرناطة عام (٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م) وهي الثورة الأندلسية الأولى والتي انطلقت كحركة تمرد ضد السلطات المسيحية الاسبانية فتوسع نطاق الثورة في جبال البشرات[٢٣]، مما أدى بالمُسلمين الأندلسيين حمل السلاح للدفاع عن دينهم وحريتهم لكن هذهِ الثورة افتقرت لقيادة إستراتيجية شاملة لذا استطاعت السلطات المسيحية بتطويقها وإخمادها والقضاء عليها بكل قسوة بعد حصارهم وفصل المُسلمين عن قادتهم وخيرتهم إما بتغيير دينهم إلى الديانة المسيحية او ترحيلهم إلى بلاد العدوة

المغربية[٢٤]. فقد نقل لنا المؤرخ كاربخال رأي السلطات المسيحية الاسبانية بهذهِ الثورة: «... إن المُسلمين بناءاً على تمردهم يستحقون أما عقوبة الموت أو فقد الممتلكات، وان العفو الذي منح لهم كان مشروطاً باعتناقهم المسيحية أو مغادرتهم البلاد»[٢٥]، تسارعت الأحداث بظهور ثورة جديدة في منطقة البشرات جنوب مدينة غرناطة عام (٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م) والتي تعرف بثورة البشرات حيث استطاع المُسلمون الأندلسيون من إعلان رفضهم لقرارات السلطات المسيحية الاسبانية المجحفة بحقهم في أعقاب ثورة البيازين في مدينة غرناطة معلنين تمردهم مستفيدين من جبال البشرات في تلك المواجهة ورغم شجاعتهم إلا أنهم لم يصمدوا طويلاً، فقد استطاعت السلطات المسيحية الاسبانية من محاصرتهم والقضاء عليهم وقمع المتمردين منهم ولم يكتفوا بذلك بل أجبروا مسلمي منطقة البشرات على اعتناق الديانة المسيحية وقاموا بالانتقام منهم من خلال قتل رجالهم واعتقال نساءهم وأطفالهم، وسمحت السلطات المسيحية الاسبانية للمسلمين الذين لا يرغبون بالتحول الديني إلى الديانة المسيحية بالذهاب إلى بلاد المغرب ضمن نطاق الهجرة الجماعية[٢٦]. بعد ثورات المُسلمين الأندلسيين في مدينة غرناطة، اتخذت السلطات المسيحية الاسبانية عندما قرر الملكان الكاثوليكان إجبار مسلمي غرناطة على اعتناق الديانة المسيحية في عام (٩٠٧هـ/ ١٥٠١م) بدافع الحصول على منافع روحية لرعاياهم لذلك طبق القرار بالمعاملة الحسنة وأوصوا رجال القضاء بهم خيراً[٢٧]، لذا اعتنق المُسلمون الأندلسيون الديانة المسيحية بالإجبار والإكراه، ففي أوائل القرن (الثامن الهجري/ السادس عشر الميلادي) بدأ التداول بمصطلح الموريسكيين (Moriscos) ويقصد بهم المُسلمين الباقين في الأندلس بعد مرحلة استعادة اسبانيا لأراضيها وعاشوا تحت الحكم المسيحي الكاثوليكي معتنفين الديانة المسيحية بشكل إجباري واستخدم هذا المصطلح في الوثائق الرسمية ويعود أصل المصطلح إلى كلمة مورو (Moro) أي الفرد المُسلم في شمال أفريقيا، ويقصد بها التصغير أو التحقير أو للإشارة إلى لون البشرة السمراء، وأعلن الموريسكيون تظاهرهم بالديانة المسيحية مع إخفاء ديانتهم الإسلامية بشكل سري وغير معلن، فقد تخلى المُسلمون الأندلسيون عن المقاومة العلنية في مواجهة حملات التحول الدينية بل ازداد عدد الداخلين إلى الديانة المسيحية مستخدمين الأسلوب السري في ممارسة شعائرهم ومعتقداتهم الإسلامية[٢٨]. ثم طبقت سياسة التحول الديني الإجباري إلى الديانة المسيحية الكاثوليكية على المُسلمين الأندلسيين بشكل شامل من خلال إصدار مرسوم ملكي أكثر صرامة وتشدد في عام (٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م) حيث يحق لهم بالتصرف في أموالهم وأملاكهم ومن يخالف الأوامر والقرارات يمنع عليهم التواجد في مدينة غرناطة والسماح لهم بالخروج إلى بلاد أخرى عدا شمال أفريقيا ومصادرة أملاكه أو يقتل أو ينفى[٢٩]. لقد اتخذ الموريسكيين مبدأ (التقية) أي الكتمان والسرية،

بمعنى يمتنع المُسلم من إظهار الشعائر الدينية محافظاً على العقيدة الإسلامية في قلبه ومشاعره، لتجتب الملاحقة وعقوبة التعذيب لذلك التجأ المُسلمون الأندلسيون إلى اعتناق الديانة المسيحية بصورة علنية ولكن في نفس الوقت اخفوا دينهم الإسلامي[٣٠]. فبدأت السلطات المسيحية الاسبانية بتهميش الموريسكيين من خلال البحث عن نقاوة الدم المسيحي للتفريق بين المسيحيين القدامى والموريسكيين، فالذي يثبت نسلهُ من أجداد المُسلمين يكون مشكوك في ولاءه ودمه غير نقي فيبعد ويعزل عن المُجتمع المسيحي[٣١]. واستمرت السلطات المسيحية بإصدار قرارات التنصير الإجباري ضد الموريسكيين من خلال إصدار العقوبات بحقهم ومطاردتهم وتعذيبهم[٣٢]، فضلاً عن إصدار قرار جديد في عام (٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م) أهم ما جاء فيه[٣٣]:

١. إلغاء كافة العقود المكتوبة باللغة العربية.

٢. يجب على جميع الموريسكيين تسليم الكتب العربية إلى رئيس محكمة غرناطة وتعاد الكتب إلى أصحابها بعد فحصها.

٣. يجب على الموريسكيين ارتداء ملابس قشتالية وإلزام الموريسكيات بنزع الحجاب في شوارع المدينة وان تكون وجوههن مكشوفة.

٤. عدم استخدام الأسماء والألقاب العربية.

٥. هدم الحمامات والجوامع وعدم استعمالها.

٦. تسليم أولاد الموريسكيين الصغار إلى السلطات المسيحية لغرض تعليمهم الديانة المسيحية في الكنيسة وتعليمهم اللغة القشتالية.

٧. تفرض عقوبة على كل من تعاون مع المنفيين المُسلمين المتمردين في الجبال.

٨. يمنع استخدام اللغة العربية قراءة وكتابة خلال ثلاث سنوات ليتعلم الموريسكيون اللغة القشتالية.

مما أدى إلى غضب الموريسكيين ضد الملك (فيلب الثاني)[٣٤] معبرين عن ذلك بثورة غرناطة الكبرى بقيادة (مُحَمَّد بن أمية)[٣٥] قائداً عاماً للثورة في أواخر عام (٩٧٦هـ/ ١٥٦٨م) وكانت بدايتها في حي البيازين في مدينة غرناطة[٣٦]. لم تنفع سياسة الاندماج بين المسيحيين الجدد ويقصد بهم الموريسكيين والمسيحيين القدامى بل ازداد الاحتقان والتوتر بين الطرفين، بعد أن فشلت سياسة الاحتواء فأصبح الموريسكيين أكثر تمسكاً بالدين الإسلامي مما زاد التباعد بين الطرفين في نهاية المطاف[٣٧]. كانت ردة فعل سكان مدينة غرناطة انتقامية بمساندة الأتراك وعناصر من شمال أفريقيا فقاموا في بادئ الأمر بقتل القساوسة والرهبان والمسيحيين القدامى مع إحراق الكنائس وسرقتها، وتم تشكيل عدة مجموعات على شكل فرق لكل فرقة قائد وراية مع سيطرة الموريسكيين على الموانئ مما جعلهم يبيعون أسرى الحرب المسيحيين إلى التجار في شمال أفريقيا، وتوسع نطاق الثورة وصولاً إلى منطقة البشرات، حتَّى وصلت قوات

السلطان المسيحية الكاثوليكية معلنين الحرب في عام (٩٧٦هـ/ ١٥٦٩م) ضد المتمردين الموريسكيين فقاموا بسرقة كل شيء يقابلهم من ممتلكات الموريسكيين وتحويل الأسرى إلى عبيد بعد وقوع عدة معارك بين الطرفين، ونتيجة لعدم التكافؤ وانعدام التخطيط بالنسبة للموريسكيين فضلاً عن الصراع على الزعامة بمقتل القائد (ابن أمية) مع ضعف الروح المعنوية فهرب العديد منهم متوجهين إلى الجبال في منطقة البشرات[٣٨]. بعدها اصدر المرسوم الملكي في عام (٩٧٧هـ/ ١٥٧٠م) بالعفو عن الموريسكيين المستسلمين في مدينة غرناطة خلال عشرين يوماً من صدور المرسوم، وفي حالة تسليم أنفسهم مع عتادهم وأسلحتهم فسوف يتمتعوا بالحرية الكاملة ولن يتحولوا إلى عبيد ومن لم يستسلم منهم تفرض عليه عقوبة الإعدام وقد ترجم هذا المرسوم إلى اللغة العربية وتم توزيعه في مدينة غرناطة واستخدم بنفس الأسلوب والطريقة مع بقية القادة الموريسكيين لإقناعهم بالاستسلام، فأقدم الكثير مهم على تسليم أنفسهم ومن بينهم قادة الثورة[٣٩]. لقد خسر الموريسكيون المواجهة مع الجيش المسيحي الاسباني المجهز بالذخائر والمؤن مستخدمين المدفعية والبنادق والسهام وقتل عدد كبير من كلا الجانبين، فقد استخدم الجيش المسيحي الاسباني أسلوب تخريب المحاصيل الزراعية أثناء المعارك وإلحاق الأضرار بالموريسكيين مع ازدياد أعداد الجيش بتوافد الجنود من باقي المدن فضلاً عن اسر وقتل العديد من الموريسكيين والحصول على كمية من الغنائم[٤٠]. مما أدى بالسلطات المسيحية الكاثوليكية إلى إصدار مرسوماً في عام (٩٧٧هـ/ ١٥٧٠م) بطرد وإجلاء جميع الموريسكيين من مدينة غرناطة سواء من المستسلمين منهم أو الذين لم يقوموا بالثورة بتقسيمهم إلى عدة أقسام على شكل مجاميع صغيرة وإرسالهم إلى كافة أنحاء مملكة قشتالة وحل محلهم المسيحيين القدامى والموريسكيين المتعاونين مع السلطات[٤١]، فقد وصف المؤرخ هارقي قرار الطرد بقوله: «... كان مصير الغرناطيين بعد ثورة غرناطة الطرد أو الترحيل وقد تم التعامل معهم كعبيد وتشغيل معظمهم لدى المسيحيين القدامى كخدم منازل أو عمال مزارع وغيرها من المهن ولم يقتصر ذلك على البالغين بل شمل أطفالهم كذلك..»[٤٢].

بعدها توجه الموريسكيين الغرناطيين متفرقين في مجتمعات صغيرة مستقرين في أي مكان يمكن العيش فيه وقصد الكثير منهم مراكز حضرية في الأندلس مثل مدينة اشبيلية، حتَّى إن القليل منهم عاد بشكل غير قانوني إلى مواطنهم القديمة في غرناطة بجهودهم الذاتية[٤٣].

وبذلك تم القضاء على ثورة غرناطة الكبرى في عام (٩٧٨هـ/ ١٥٧١م) بشكل كامل بوضع القيود على الموريسكيين الذين لم يسلموا أنفسهم إلى السلطات المسيحية الكاثوليكية وكذلك وضع العراقيل على الموريسكيين المستسلمين الذين لديهم رغبة بالعودة إلى الجبال ومشاركة الثوار[٤٤].

إن هذه الثورة التي قمعت بوحشية بالغة شأنها شأن بقية الحركات الثورية لإمكانياتها المتواضعة المحدودة مع انعدام التنسيق وغياب

القيـادات العسـكرية المحنكة فهـي مجابهة غير متكافئة وبالتالي استطاعت السلطات المسيحية القضـاء على القيم والتقاليد الأخلاقية والدينية لهؤلاء الموريسـكيين بشـكل نهائـي خاصةً بعد تدفـق المسـيحيين القدامى لسـد الفـراغ الذي خلفه الموريسكيين المرحلين عنها[٤٥].

المبحث الثالث

أوضاع الموريسكيين في ظل محاكم التفتيش والفتاوى الإسلامية

بعـد فشـل الجهـود في تحويل سـكان شـبه الجزيرة الإسلامية الأيبيرية بطريقة سلمية ومن ضمنهـم الغرناطيين إلى الديانة المسـيحية ذات المذهـب الكاثوليكـي وبلغـة قشـتالية، لذلـك صـدرت عـدة قـرارات بإطار المرسـوم الملكي المسـيحي الكاثوليكـي عـلى كل الموريسـكيين الذيـن اعتنقوا الديانـة المسـيحية[٤٦]. ومن بين هذهِ القـرارات الصادرة بتتابع تاريخي متعاقب ضـد الموريسـكيين الذيـن عانـوا كثـيراً منهـا لتغيـير نمـط حياتهـم في مدينة غرناطـة وجميع القـرى والمـدن التابعة لهـا والتـي تتضمن منع ارتداء الملابس العربية التقليدية الإسـلامية بل ألزموهـم بوضـع شـارة تميزهم عـن المُجتمع، ويمنع اسـتخدام اللغة العربية سـواء التحدث بها أو تسمية الأفراد فقد استخدم الموريسكيون لغـة (الخميـادوا)[٤٧]، بديـلاً عنهـا، وإجبـار الموريسكيين على فتح أبوابهم أثناء الاحتفالات وفي أيام العطل والجُمَعْ لمراقبتهم، ومنع النساء الموريسـكيات من لبس الحجـاب في الطرقات ومنعهن من اسـتخدام الحناء، ومنعهم من ذبح الحيوانـات عـلى الطريقة الإسـلامية وإلزامهم بإتبـاع الطريقة المسـيحية في الزواج ومراسـيم الوفـاة والتركـة والمـيراث، ومنع اسـتخدام أو حمـل السـلاح، وكذلـك منـع الزيـارات بـين الموريسـكيين مـن خـارج مدينـة غرناطـة[٤٨]. كانت العقوبـة لكل من لم ينفذ هـذهِ القرارات بفـرض غرامـات مالية إذا كانـت للمرة الأولى وإذا تكـررت يعاقب بأشـد العقوبات التي قد تصل إلى مصادرة ممتلكاته أو تحويله إلى العبودية أو الموت جراء التعذيب، فكان البعض من هذهِ القرارات قد تم تطبيقها بشـكل صارم وفوري والبعـض الآخـر تـم تأجيلهـا بسـبب طلبات الموريسكيين ومن ثم أعيد تنفيذها في السنوات اللاحقة نتيجة الخشية منهم والتي قد تؤدي إلى مواجهات وصدامات معهم. أما بالنسبة لطبقة النبـلاء التـي كانـت تدعـم الموريسـكيين فقد عملوا على حمايتهم لما لهم من مصالح اقتصادية معهـم، لان الموريسـكيين كانـوا يعملـون في أراضيهـم ويدفعـون لهـم الضرائـب بانتظـام، لذلك حاول النبلاء إقناع السـلطات المسـيحية بتأجيـل تلـك القـرارات وعـدم تنفيذهـا[٤٩]. لقد عملـت (محاكـم التفتيش)[٥٠] عـلى مراقبة الموريسـكيين وملاحقتهـم في مـدى تنفيذ هذهِ القرارات ومحاكمة ومعاقبة كل من لم يلتزم بها، فكانت العامل المسـاعد للسـلطات السياسـية بتنفيذ أهدافها ومن أهمها نصرة الدين المسيحي وإقصـاء الأديـان والمذاهب الأخـرى[٥١]. فقد ذكـر المؤرخ باروخا الأسـلوب الـذي تعاملت بـه محاكـم التفتيـش ضـد الموريسـكيين بقوله: «...كانـت قسـوة محكمـة التفتيـش في غرناطة مضرب الأمثـال، وظلـت عمليـات التعذيب التـي كانـت تقوم بهـا محفـورة في الذاكـرة على مـدى أجيـال»[٥٢]. اعتمـدت محاكـم التفتيش

عـلى المبلغين أو عن طريـق الاعتراف وفي حالة الإدانة يسجن المتهم من المخالفين الموريسكيين ويـودع في السـجن وقد تسـتغرق محاكمته عدة سـنوات ويـمارس ضده شـتى أنـواع التعذيب النفـسي والجسـدي فكانت الإجراءات تتسـم بالسريـة المطلقـة مستخدمة أسـاليب متنوعـة مـن التعذيـب منها اسـتخدام الآلـة الضاغطة عـلى أضلاع المتهـم أو نزع أسـنانه أو التعذيب بالماء من خلال إجبار السـجين على شرب أكثر من لتر مـاء وتكرار ذلك عدة مـرات، أو يرفع السـجين بحبل تحركـه بكره حتَّى يترك يسـقط بشـكل عنيف، فضلاً عن حفلات الحرق التي تقـام وسـط الميـدان، ومـن وسـائل التعذيـب الأخـرى إدخـال السـجين في تابـوت ويغلـق عليه الباب فتدخل المسـامير في جسـده لغرض تعذيبه، ويستخدم العاملين في السجن المطارق الثقيلة لسـحق الرؤوس، فإذا أعترف السجين بذنبه اصـدر قرار العقوبة وإذا أنكـر ما أُتِهِمَ به يعـاد للتعذيب[٥٣]. يصف لنـا المؤرخ الحجري الأندلـسي أوضاع الموريسـكيين بقوله: «...إن الحراقين مـن النصـارى الذين كانـوا يحكمون ويحرقـون كل من ظهر عليه شيء من الإسـلام أو يقـرأ كتـب المُسـلمين.. ومـن اجـل ذلـك الخوف العظيم كان الأندلس تخاف بعضهم من بعـض ولا يتكلمون في أمـور الدين إلا مع من كان معنـاه ذو امنـةٍ، وكثير منهـم كانوا يخافون بعضهـم من بعض وكان فيهـم من يحب يتعلم شيء من ديـن الله ولا يجدون من يعلمهم»[٥٤]. كان الموريسـكيون يكتمون إسـلامهم بشـكل سري ويذهبـون إلى الكنيسـة كل يـوم احـد ليمارسـوا الطقـوس الدينيـة ويقومـوا بتعميـد أطفالهـم لتجنـب العقوبـات مـن قبـل محاكـم التفتيـش وعنـد عودتهـم إلى منازلهـم يقومون الغسل بالماء الدافئ لإزالة ماء التعميد والزيت المقدس ممارسين طقوسهم وعاداتهم الإسلامية أيـام الجُمَعْ بأداء الصلاة والاغتسـال والتطهير وينـادون عـلى أبناءهم بأسـماء عربيـة مرتدين ملابسـهم الإسـلامية التقليدية[٥٥]. أمـام هذهِ التحديـات والضغوطـات من قبل السـلطات المسـيحية الكاثوليكية ومحاكم التفتيش استعان الموريسـكيون بالفتاوى الإسـلامية لتكون لهم القاعدة الأساسـية في اتخاذ القرارات الحاسـمة وإرشـادهم إلى الطريـق الصـواب، وكانـت مـن بين هـذهِ الفتاوى هـي فتـوى الونشريسي (ت:٩١٤هـ/ ١٥٠٨م) المعروفة بعنوان (أسنى المتاجـر في بيـان أحـكام مـن غلب عـلى وطنه النصـارى ولم يهاجر وما يترتـب من العقوبات والزواجـر)[٥٦]، الـذي أفتـى بعـدم السـماح للموريسـكيين بالبقـاء وفرض عليهـم الهجرة إلى بقية الدول الإسـلامية، وقـد تكررت عليه اسئلة الموريسكيين حول هذا الموضوع وكانت إجابتـه في الفتوى الثانيـة بنفس جواب الفتوى الأولى بمغـادرة الأراضي المسـيحية والهجـرة إلى الأراضي الإسـلامية في جميـع الظروف، بل اسـتنكر عليهم التذمر والتشـكيك في تنفيذ هذ الفتـوى التي هـي واجبة عـلى كل مسـلم[٥٧]. بعدهـا اصـدر مفتـي وهـران (أحمـد بـن بـو جمعـة ت:٩٢٠هـ/ ١٥١٤م) فتوى إسـلامية للموريسـكيين بعنوان (فتوى الغرباء)، بعد أن ورده إليـه العديد من تسـاؤلات الموريسـكيين عـن كيفيـة التعامـل مـع قـرارات السـلطات المسـيحية الكاثوليكيـة فـكان جوابـه مبـاشرة لأسـئلة المضطهديـن في الممالك المسـيحية ومن ضمنهـم الغرناطينيين، فقد سـمح لهـم بالبقاء

وتنفيذ وإطاعة ما يطلب منهم لتجنب العقوبات مع تقليل الالتزامات الدينية وضرورة ممارسة الشعائر الإسلامية بشكل سري وخفي وتتضمن الفتوى تعليمات للموريسكيين لغرض التحايل والمراوغة على السلطات المسيحية[٥٨]. لقد أعطى مفتي وهران حلولاً للموريسكيين في حياتهم اليومية حيث أوصاهم باعتناق الديانة المسيحية بشكل ظاهري وفي نفس الوقت التمسك بالدين الإسلامي بشكل سري، فقد سمح لهم بالاكتفاء بالإشارة أثناء الصلاة كتعويض عن أداء الصلاة بشكل كامل، وأجيز لهم تأخير الصلاة إلى الليل أو أن تؤدى بغير اتجاه القبلة، وسمح لهم بترك الوضوء والاكتفاء بالذهاب إلى النهر للاغتسال وإذا لم يتمكنوا من ذلك فيمكن الاستعاضة عنه بالتيمم، كذلك السماح لهم القيام بالأفعال المطلوبة كشرب الخمر واكل لحم الخنزير بشرط أن ينكروا ذلك في قلوبهم مبينين بالنية عدم الاستعمال، وإذا اجبروا على شتم النبي مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم فقد أباح لهم ذلك مع التلاعب في نطق الاسم إلى (ممد)، وإذا أكرهوا على قول بان السيد المسيح (عليه السلام) هو ابن الله فسمح لهم بقول ذلك جاعلين نيتهم عكس ذلك تماماً[٥٩]. لقد أثار مفتي وهران هذهِ الفتوى بالسماح للمُسلمين بالبقاء وعدم الهجرة من خلال تقديم الحلول لهم في هذهِ الظروف الاستثنائية من اجل البقاء على قيد الحياة مع ممارستهم لشعائر الدين الإسلامي بشكلٍ سري باستخدام هذهِ الوسائل المباحة الوقتيةً لتجاوز المحنة التي حلت بهم، وقد اشتهرت هذهِ الفتوى واستمرت على مدى ستون عاماً[٦٠].

المبحث الرابع

قرار الطرد النهائي للموريسكيين

لقد تداولت أفكار لطرد الموريسكيين بشكل نهائي من اسبانيا فظهرت عدة اقتراحات لحل هذهِ المشكلة من بينها تجميع الموريسكيين في أحياء خاصة بهم أو التخلص منهم بشتى الطرق مثل خطف الأطفال الذين لا تتعدى أعمارهم الست سنوات وتسليمهم إلى المسيحيين القدامى لتربيتهم تربية مسيحية ومنعهم من الزواج لتتناقص أعدادهم مع مرور الأيام أو القضاء عليهم من خلال الاسترقاق بتشغيلهم بالسفن والمناجم أو تجميعهم في السفن ومن ثم رميهم في البحر أو من خلال اخصاء الذكور كباراً وصغاراً، إلا أن تلك الاقتراحات قد أهملت حتَّى عام (٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م) بعد أن تشكلت لجنة من قبل الملك (فيليب الثاني) التي قدمت مقترحها بطرد جميع الموريسكيين خارج اسبانيا إلا أن هذا القرار لم ينفذ وتم تأجيله، لان الوقت كان غير مناسب ومثل هذا القرار يحتاج إلى دراسة وتخطيط. وتجددت فكرة طرد الموريسكيين في عام (١٠١١هـ/ ١٦٠٢م) عندما رفعت لجنة دراسة مشكلة الموريسكيين تقريراً إلى الملك (فيليب الثاني) بضرورة تنفيذ القرار على كل من يمارس العادات والشعائر الإسلامية إلا أن هذا القرار لم ينفذ وتم تأجيله؛ لان اسبانيا كانت تخوض حرباً مع ثلاث دول كبرى وهي فرنسا وانكلترا وهولندا ولا يمكن تنفيذ مثل هكذا قرار إلا بالعودة إلى البابا مع إعطاء

فرصة لعملية التبشير المسيحي[٦١]. وعندما تسلم الملك (فيليب الثالث)[٦٢] مقاليد الحكم كانت سياسته الاستمرار في الحملات التبشيرية لكسب ولاء الموريسكيين ومحاولة لتخليصهم من دينهم الإسلامي السابق، إلا أن مجلس الدولة اجتمع في عام (١٠١٧هـ/ ١٦٠٨م) ووافق على طرد الموريسكيين من الأراضي الاسبانية ويطبق هذا القرار بعد سنة كاملة وتعبئة الأجواء قبل تطبيقه، وفي نفس العام ازدادت الشائعات حول القرار مما اضطر الموريسكيون القادرون على الهجرة وبيع ممتلكاتهم والهجرة بأعداد كبيرة إلى شمال أفريقيا والبعض الآخر اتجه نحو فرنسا[٦٣]. إن من بين أسباب قرار طرد الموريسكيين هو تعاونهم مع قوى خارج البلاد كالدولة العثمانية ودول إسلامية في الشمال الأفريقي وذلك من خلال مد الموريسكيين بالمسلحين الذين كانوا لهم اثر في زعزعة استقرار البلاد لذلك تعاملوا معهم على أنهم أعداء الداخل، فبدأت السلطات المسيحية تنظر إليهم على أنهم عديمي الفائدة في بقائهم فلم يستفيدوا منهم في الحروب وهي التي يهلك فيها الكثير من الناس وفي نفس الوقت كانت السلطات تمنعهم من استخدام السفن في البحر لئلا يهربوا إلى الدول الإسلامية وكما هو معروف بان البحر يهلك فيه الكثير من الناس، ولم يكونوا رهبان أو قسيسين بل كانوا يزدادون عدداً ويتكاثرون وهذا الشيء أدى إلى الإسراع بإخراجهم[٦٤]. كانت هناك قناعة سائدة في المُجتمع المسيحي بان الموريسكيين كانوا غير مخلصين في إيمانهم المسيحي لذلك صدر قرار الطرد النهائي كما عبر عن ذلك المؤرخ هارفي بقوله: «...من خلال الوثائق المسيحية نستنتج بان الموريسكيين كانوا أقلية غير مندمجة ولا يمكن استيعابها»[٦٥]. لذلك اصدر الملك (فيليب الثالث) قرار الطرد النهائي الإجباري للموريسكيين في عام (١٠١٨هـ/ ١٦٠٩م) ومغادرة كل مدن الإمبراطورية الاسبانية المسيحية وإرسالهم إلى الدول الإسلامية في الساحل الشمالي الأفريقي، معتبرين بان الموريسكيين مصدر قلق للسلطات المسيحية الاسبانية وبخروجهم من شبه الجزيرة الأيبيرية سيستتب الأمن والسلام وتتحقق الوحدة الدينية التي تؤدي إلى الوحدة السياسية، ولهذا تم إصدار القرار بطردهم رجالاً ونساءً وأطفالاً من مدينة بلنسية لقربها من البحر، ولم يكن ذلك القرار بالجديد بل كان تفعيل وتطبيق لقرارات صدرت سابقاً ولعدة مرات[٦٦]. يوثق المؤرخ الحجري قرار الطرد النهائي بقوله: «...أمر السلطان النصراني ببلاد اشبانية؛ اعني بلاد الأندلس المسمى بفيليب الثالث من اسمه بإخراج جميع المُسلمين من بلاده وابتداء ذلك كان لسنة ثمان عشر وألف، وآخر من خرج منهم كان عشرين وألف»[٦٧]. وقد أعلن قرار طرد الموريسكيين في مدينة غرناطة وباقي المدن في منطقة الجنوب الشرقي في عام (١٠١٩هـ/ ١٦١٠م)، فكانت القرارات صارمة ومشددة على شخصيات ثرية بمنعهم من تحويل ممتلكاتهم العقارية إلى ذهب أو نقود أو سندات وسمحوا لعامة الناس أن يبيعوا ممتلكاتهم المنقولة ومنعوا من اخذ

الذهب والفضة إلا ما يكفيهم لنفقات رحيلهم والتي طبقت على مدينة غرناطة أيضاً[٦٨]، إما الأملاك العقارية فجميعها صوردت لصالح السلطات المسيحية. إن من أهم بنود قرار الطرد النهائي للموريسكيين بعد أن أجريت عليها تعديلات طفيفة في بعض بنودها واهم ما جاء فيها[٦٩]:

١. يجب على جميع الموريسكيين مغادرة منازلهم في أي مكان كانوا وينفذون التوجيهات ومن يرفض يعاقب بالإعدام.
٢. إن أي محاولة لإخفاء أو دفن أو حرق الممتلكات تخضع جميع سكان القرية إلى عقوبة الإعدام.
٣. يجب على جميع الموريسكيين الانتظار كي يتم تجميعهم.
٤. إجبار الموريسكيين على البقاء وعدم الرحيل لكل ستة منازل من بين مائة منزل يعلموا أولئك الذين استولوا على أملاكهم بكيفية العمل في مصانع السكر وأنظمة الري.
٥. لا يجوز للمسيحيين القدامى سواء كانوا جنوداً أو سكان مدنيين بان يعتدوا على الموريسكيين بالقول أو بالفعل، ولا يحق لهم اخذ ممتلكاتهم أو زوجاتهم أو أطفالهم.
٦. تفرض عقوبة السجن التي تصل إلى ستة سنوات لكل شخص يساعد أي موريسكي على الهروب أو يخفيه.
٧. يسمح بالعودة لمجموعة من الموريسكيين والذي يبلغ عددهم عشرة أفراد من الدفعة الأولى الذين وصلوا إلى سواحل الشمال الأفريقي لإخبار وطمأنة زملائهم الموريسكيين بأنهم سيعاملون بشكل جيد.
٨. يسمح بالبقاء للأطفال الذين تتراوح أعمارهم من أربع سنوات وما دون بموافقة والديهم ولا يتم طردهم.
٩. يسمح بالبقاء للذين كانوا متواجدين مع المسيحيين لمدة طويلة ولم يكونوا على اتصال بالموريسكيين.
١٠. السماح للموريسكيين بالمغادرة إلى ممالك أخرى بعد موافقة جلالة الملك.

لقد حدثت مواجهات وصدامات بين الموريسكيين والجيش الاسباني بعد قرار الطرد مما أدى إلى خسائر في الأرواح والمعدات من جانب الموريسكيين والمتطوعين معهم لأنهم غير مدربين وغير مجهزين بالسلاح فالكثير من الموريسكيين تجنبوا القتال وقاموا بتسليم أنفسهم بشكل سلمي[٧٠]. وأثناء عملية الطرد تعرض الموريسكيين إلى السلب والنهب وجرائم فظيعة سواء كان ذلك من قبل عصابات الطرقات بسلب ما يحملون وقتل منهم ما يشاؤون وقد شارك أفراد من الجيش في هذهِ العملية أو من خلال قيام أصحاب السفن التابعة للمسيحيين بإغراق الكثير من الموريسكيين لسلب أموالهم[٧١]. واصفاً ذلك المؤرخ الحجري بقوله: «وكان الأندلس يقطعون البحر في سفن النصارى بالكراء، ودخل كثير منهم في سفن الفرنج ونهبوهم في البحر، وجاء إلى مراكش أندلس منهبون من الفرنج من أربع سفن...»[٧٢]، فقد انتقل معظم الموريسكيون الغرناطينيون إلى شمال

المغرب ومدينة فاس أما بقية الموريسكيين المطرودين فقد توزعوا على ساحل الشمال الأفريقي في تونس والجزائر وبعض مدن المغرب الأقصى[٧٣]. ثم صدر قرار توضيحي في عام (١٠١٩هـ/ ١٦١١م) بضرورة إخراج موريسكيي مدينة غرناطة الذين بقوا أو عادوا بحجة أنهم مسيحيين مخلصين ويستثنى من هذا القرار المُسلمين الفارين من بلاد المغرب لغرض الدخول في الدين المسيحي بإرادتهم والعبيد الذين لم يخرجوا بعد ثورة غرناطة والرهبان والراهبات من أصل موريسكي[٧٤].

كان قرار الطرد النهائي الجماعي للموريسكيين يحمل بين طياته الكثير من القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية وثقافية إلا أن الممالك المسيحية قد عانت كثيراً من الناحية الاقتصادية خلال (القرن الحادي عشر الهجري/ القرن السابع عشر الميلادي) بسوء الأحوال وترديها بشكل سلبي فقد انخفضت المنتوجات الزراعية والصناعية[٧٥]. لذا فهي حلقة مكملة للإقصاء الحضاري من خلال تجريد الموريسكيين من ابسط حقوقهم المدنية بمنعهم من اخذ أبنائهم في هذه العملية اللاأنسانية[٧٦].

الخاتمة

لقد عانى المُسلمون الأندلسيون كثيراً في مدينة غرناطة وباقي المدن الأندلسية منذ معاهدة التسليم في عام (٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م) عندما بدأت السلطات المسيحية الكاثوليكية بالتخلي عن تعهداتها السابقة بشكلٍ تدريجي من خلال حملات التبشير المسيحية ومن ثم من خلال العمل بمبدأ الترغيب والترهيب والمضايقات التي مارستها ضد المُسلمين الأندلسيين لاعتناق الديانة المسيحية وتحديداً المذهب الكاثوليكي، وبدأ يظهر مصطلح الموريسكيون بشكلٍ تدريجي على المُسلمون الأندلسيون الذين اعتنقوا الديانة المسيحية بشكل اسمي لكنهم حافظوا على دينهم الإسلامي بشكل سري فأطلق عليهم مصطلح المسيحيين الجدد، أما الذين رفضوا تلك الإجراءات قاموا بعدة ثورات محلية في مدينة غرناطة معبرين فيها عن رفضهم لسياسة السلطات المسيحية، فكانت ثورة حي البيازين في عام (٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م) وثورة البشرات في عام (٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م) وعلى اثر ذلك أصدرت السلطات المسيحية الكاثوليكية العديد من قرارات مها قرار تنصير مسلمي غرناطة في عام (٩٠٧هـ/ ١٥٠١م) ويعتبر ذلك التاريخ بداية لتداول مصطلح الموريسكيون في وثائق السلطات المسيحية،ثم صدر المرسوم الملكي الرسمي على كل المُسلمين الأندلسيين ومن بينهم سكان غرناطة في عام (٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م) كعقوبة لهم وفي نفس الوقت لتنطبق عليهم القوانين المحلية

حالهم كحال المسيحيين القدامى والذي يقضي بتغيير ديانتهم من الديانة الإسلامية إلى الديانة المسيحية بشكلٍ إجباري والذي يمتنع عن ذلك يسمح لهم بمغادرة البلاد عدا شمال أفريقيا، وكان من بين الفقرات الصادرة عن ذلك المرسوم بمنعهم من التحدث باللغة العربية ولم يسمح لهم بارتداء الملابس الإسلامية مع صدور عدة قرارات تحرمهم من ممارسة عاداتهم اليومية، متهمين بنقض اتفاقية الاستسلام، مما اضطر المُسلمين الأندلسيين الباقين أن يقبلوا باعتناق الديانة المسيحية لتجنب العقوبات التي تصدر ضد المخالفين، ورغم أنهم أعلنوا ديانتهم المسيحية إلا أنهم اخفوا ديانتهم الإسلامية بشكل سري معتمدين على الفتاوى الإسلامية مثل (فتوى وهران) التي سمحت لهم باستخدام مبدأ التقية وهو قبول فعل الشيء بشرط رفضه في النية، مما اضطرت السلطات المسيحية بإصدار عدة قرارات جديدة ضدهم وجعلت لمحاكم التفتيش سلطة لمراقبتهم ومعاقبتهم إذا خالفوا التعليمات الصادرة بحقهم، ولم تكتفِ محاكم التفتيش بذلك بل مارست كل وسائل التعذيب والاضطهاد على الموريسكيين لانتزاع الاعترافات منهم ومحاكمتهم بصورة علنية.

لقد تعرض سكان غرناطة الموريسكيين والذين رفضوا كل القرارات الصادرة بحقهم معلنين تمردهم على السلطات المسيحية من خلال ثورة غرناطة الكبرى في عام (٩٧٦هـ/ ١٥٦٨م) والتي لم تدم طويلاً فقد خسر الغرناطينيون رهانهم في هذهِ الثورة، وانتهت كباقي الثورات السابقة بالطرد إلى مملكة قشتالة. إن هذه الثورة من أشهر الثورات التي اشترك فيها عدة أطراف دولية بشكل غير مباشر من المتطوعين الأتراك وشمال أفريقيا لمساندة أخوانهم الموريسكيين من جانب والدعم الأوربي الديني والسياسي والعسكري للسلطات الاسبانية من جانب آخر، لذلك تعتبر تلك الواقعة من الحروب الدولية في التاريخ العسكري ورغم ذلك لم تفصح المصادر العربية عن وقائع تلك المواجهة التي استمرت لأكثر من سنتين بين الطرفين سوى بعض السطور القليلة وهذا يعطي مؤشر عن حجم الفاجعة التي حلت بالمورسكيين من قتل واسر في حين أسهبت المصادر الأجنبية خاصة الاسبانية بتفاصيل دقيقة عن تلك المواجهات.

فعلى الرغم من ممارسة الموريسكيين للحياة اليومية المسيحية إلا أن السلطات السياسية والدينية وحتَّى محاكم التفتيش لم تقتنع بإخلاصهم للدين المسيحي والمذهب الكاثوليكي معتبرين ذلك مجرد إيمان كاذب وغير حقيقي جاء ذلك من خلال التقارير والوثائق الرسمية التي تدين الموريسكيين لذا صدر قرار الطرد النهائي للموريسكيين من شبه الجزيرة الأيبيرية ابتداءً من أواخر عام (١٠١٨هـ/ ١٦٠٩م) في عهد الملك (فيليب الثالث)، وجرت عملية طرد الموريسكيين بشكل رسمي إلى الدول الإسلامية في ساحل الشمال الأفريقي بنقلهم عبر السفن والقوارب، فقد كانت كل الظروف مهيأة لإصدار وتنفيذ قرار الطرد رغم معارضة طبقة النبلاء لذلك القرار لما أصابهم من أضرار اقتصادية فضلاً عن ملائمة الظروف الداخلية

والخارجية لتنفيذ قرار الطرد،ثم نفذ القرار على الموريسكيين الغرناطيين بالطرد من شبة الجزيرة الأيبيرية في بداية عام (١٠١٩هـ/ ١٦١٠م) مع إجراء بعض التعديلات الطفيفة في فقراتها لكي تناسب الحالات المستجدة في المدينة وخصوصيتها ورغم تلك الاختلافات إلا أن الهدف هو الطرد النهائي وإنهاء وجودهم بدافع التعصب الديني متهمينهم بالخيانة والتعاون مع أطراف من خارج البلاد، وبذلك تلقوا الموريسكيين الغرناطيين طردين الأول داخلي والثاني خارجي.

لم يعتمد الباحث إحصائية أعداد الموريسكيين في مدينة غرناطة سواء قبل قرارات الطرد أو بعدها لأنها غير دقيقة ومتغيرة فلم يكن الموريسكيون الغرناطيون مستقرين في مدينة غرناطة، لكن يقدر عددهم بالآلاف حيث استمرت عمليات الطرد حتَّى عام (١٠٢٣هـ/ ١٦١٤م). وبعد صراع لأكثر من مئة عام بين الطرفين انفصل الموريسكيين عن أجدادهم وموطنهم حاملين معهم قضيتهم التي لم يتخلوا عنها حتَّى النهاية. إن تاريخ الموريسكيين بشكل عام وتاريخ الموريسكيين في مدينة غرناطة بشكلٍ خاص له أهمية في التاريخ الأندلسي وهو جزء مكمل للعصور الأندلسية وفيها الكثير من الأحداث والوقائع التاريخية التي تحتاج لجهود المؤرخين في البحث والتمحيص من أجل الوصول إلى نتائج تاريخية مفيدة.

الهوامش

١. ابن الخطيب الغرناطي، أبي عبد الله مُحَمَّد (ت:٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)، الإحاطة في أخبار غرناطة، شرح وضبط وقدم له: يوسف علي طويل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ٢٠٠٣، ح٢، ص٩٢ وما بعدها؛ الحجي، عبد الرحمن علي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتَّى سقوط غرناطة، ط٢، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٨، ص٥٥٦-٥٥٨.

٢. ابن عذاري، أبو عبد الله أحمد بن مُحَمَّد المراكشي (متوفى بعد سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق، ج. س كولان وليفي بروفنسال، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ٢٠٠٩، ج٤، ص٤٣٤و٤٣٥، ابن خلدون، عبد الرحمن بن مُحَمَّد (ت:٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، اعتنى به: عادل بن سعد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ٢٠١٠، ج٤، ص١٧٠-١٨١؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، تحقيق: عبد القادر بو باية، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ٢٠٠٩، ص٢٦٨و ٢٦٩.

٣. ابن الخطيب الغرناطي، إعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق ذلك من الكلام، تحقيق: سيد كسروي حسن، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ٢٠٠٣، ج٢، ص٢٤٦-٢٧٦؛ عنان، مُحَمَّد عبد الله، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، ط١، مطبعة مصر، القاهرة- مصر، ١٩٤٩، ص٧٠-١٦١.

٤. ابن الخطيب الغرناطي، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج٢، ص٤٣-٤٨.؛ ابن خلدون. العبر، ج٤، ص١٧٢-١٧٩؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٥٨٢-٥٩٤.

٥.المقري، أحمد بن مُحَمَّد التلمساني (ت:١٠٤١هـ/ ١٦٣١م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، شرح وعلق

عليه: مريم قاسم طويل و يوسف علي طويل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٩٩٥، ج٦، ص٢٧٢-٢٧٩؛ السلاوي، أبو العباس بن خالد الناصري (ت:١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري ومُحَمَّد الناصري، بلا طبعة، دار الكتاب، الدار البيضاء- المملكة المغربية، ١٩٥٥، ج٤، ص١٠٢؛ شاتوبريان، الفيكونت دو، رواية آخر بني سراج ومذيلة بخلاصة من تاريخ الأندلس إلى سقوط غرناطة، ترجمة: شكيب ارسلان، ط٢، مطبعة المنار، الإسكندرية – مصر، ١٨٩٧، ص١٦٦-١٨٤.

Ferrin, Emilio Gonzalez, Historia General de Al andalus, Tercera edicion, Editorial Almuzara, Espana, 2009, PP.497-505.

٦. المقري، نفح الطيب، ج٦، ص٢٦٧-٢٨٣؛ مؤلف مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر- تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيين إلى المغرب، ضبط وعلق عليه: الفريد البستاني، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد – مصر، ٢٠٠٢، ص١٠؛ حتاملة، مُحَمَّد عبدة، محنة مسلمي الأندلس عشية سقوط غرناطة وما بعدها، ط١، مطابع دار الشعب، عمان- الأردن، ١٩٧٧، ص٣٣.

٧. مُحَمَّد بن علي أبو عبد الله (ت:٨٩٦هـ/ ١٤٩٠م)، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق: علي سامي النشار، بلا طبعة، دار الحرية للطباعة، بغداد العراق، ١٩٧٧، ج٢، ص٢٠٤.

٨. المصدر نفسه، مقدمة المحقق، ج١، ص١٠.

٩. مجهول، نبذة العصر، ص١٢، ايرفنغ، واشنطن، أخبار سقوط غرناطة، ترجمة: هلال يحيى النصري، ط١، مطبعة الانتشار العربي، بيروت- لبنان، ٢٠٠٠، ص١٣٧-١٤٠.

١٠. كاربخال، مارمول، وقائع ثورة الموريسكيين، ترجمة: وسام مُحَمَّد جزر- مراجعة وتقديم: جمال عبد الرحمن، ط١، طباعة ونشر المركز الثقومي للترجمة، القاهرة- مصر، ٢٠١٢، ج١، ص٩٠و٩١.

١١. مجهول، نبذة العصر، ص٣٧-٣٩؛ كاربخال، وقائع ثورة الموريسكيين، ج١، ص١١٥و١١٦.؛ ارفنغ، أخبار سقوط غرناطة، ص٣٨١-٣٩٥؛ شاتوبريان، رواية آخر بني سراج، ص٣٢٩و٣٣٠.

١٢. الكتاني، علي المنتصر، انبعاث الإسلام في الأندلس، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ٢٠٠٥، ص٥٥. كاربخال، وقائع ثورة الموريسكيين، ج١، ص١٢٤-١٣٣.؛

Harvey, L.P., Muslims in Spain 1500-1614, 1th edition, published by the university of Chicago, (Chicago-London), 2005, P.P.,44.

١٣. المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق: إبراهيم الابياري وآخرون، بلا طبعة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة- مصر، ١٩٣٩، ج١، ص٦٥.؛ السلاوي، الاستقصا، ج٤، ص١٠٤و١٠٦. الحمداني، وداد كردي ثلج، سياسة الملك الصغير أبو عبد الله مُحَمَّد بن الحسن وأثرها في سقوط غرناطة، مجلة سر من رأى، مجلد ٦، العدد٢١، العراق، ٢٠١٠، ص٢١٨و٢١٩.

١٤. مجهول، نبذة العصر، ص٤٠.

١٥. السلاوي، الاستقصا، ج٤، ص١٠٦، مظهر، علي، محاكم التفتيش في اسبانيا والبرتغال وغيرها، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٩٩٦، ص٨٢.؛

Harvey, Muslim in Spain, PP. 53.57.

١٦. المقري، أزهار الرياض، ج١، ص٦٧-٦٩.؛ براتشينا، دون باسكوال بورونات اي، الموريسكيون الأسبان ووقائع طردهم، ترجمة: كنزة الغالي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ٢٠١٢، ج١، ص١١٥.

١٧. الأسدي، المسألة الموريسكية «فصل في صراع الحضارات»،ط١، مطبعة بيت الحكمة، بغداد- العراق،٢٠٠٦،ص٧.

١٨. باروخا، خوليو كارو، مسلمو مملكة غرناطة بعد عام ١٤٩٢، ترجمة وتقديم: جمال عبد الرحمن، ط١، المجلس الأعلى للثقافة، مصر – القاهرة، ٢٠٠٣، ص٤٢و٤٣.؛ كاربخال، وقائع ثورة الموريسكيين، ج١، ص١٥٤-١٥٦؛ حامد، برزان سمير، الموريسكيون، ط١، دار الفكر، عمان- الأردن، ٢٠٢، ص١٠١-١٠٣.

١٩. المقري، أزهار الرياض، ج١، ص٦٩-٧٢.؛ الحسني، قاسم عبد سعدون، الموريسكيون والعالم الإسلامي- من سقوط غرناطة حتَّى نهاية محاكم التفتيش، ط١، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان- الأردن، ٢٠٢١، ص٩٩؛ مُحَمَّد، هديل فائز حسن، موقف الدولة العثمانية من مسلمي الأندلس وشمال أفريقيا ١٤٩٢-١٥٦٦م، ط١، صفحات الدراسات والنشر، دمشق- سوريا، ٢٠١٧، ص٤٥-٤٦.

٢٠. هو: فرانسيسكو خمينيث دي ثيسنيروس راهب مسيحي كان على رأس السلطة المسيحية في الكنيسة وهو أول من طبق التعليمات الصادرة بتحويل المُسلمين الأندلسيين إلى الديانة المسيحية، للمزيد من المعلومات ينظر: باروخا، مسلمو مملكة غرناطة، ص١٤٣.؛ براتشينا، الموريسكيون، ج١،ص١٦.

21. Muslim in Spain, P.P. 125.

٢٢. المقري، ازهار الرياض، ج١، ص٦٨-٧٢، الكحيل، عبد الاله، المعتبر من الاخبار عن سقوط غرناطة وعن الموريسكيين باختصار مأبين (١٤٦٢-١٦١٤م)، بلا طبعة، مطبعة سلبكي اخوين، طنجة، المملكة المغربية، ٢٠٢٢، ص٥٧؛

Pons, Luis F., Bernabe, Los Moriscos, 1th edition, Published by Libros catrata, Madrid, 2009, P.P.27.

٢٣. البشرات Al Pujarra: وهي سلسلة جبال تقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة غرناطة وتوجد بالقرب منها عدد من الحصون والقرى واشتهر أهلها بصناعة الحرير، للمزيد من المعلومات ينظر: الشريف الإدريسي، أبي عبد الله مُحَمَّد عبد الله (ت: ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة- مصر، ٢٠٠٢، المجلد ٢، ص٥٣٧؛ حتاملة، موسوعة الديار الأندلسية، ط١، المكتبة الوطنية، عمان- الأردن، ١٩٩٩، ج١، ص٢٥٥.؛ عويد، فراس حمد خلف، ثورة غرناطة الكبرى (البشرات) ١٥٦٨م/ ٩٧٥هـ، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، مجلد ١٠، العدد ٣٦، جامعة تكريت – العراق، ٢٠١٨، ص١٨٨.

٢٤. الحسني، الموريسكيون، ص١٠٥-١١١؛ الكحيل، المعتبر من الأخبار عن سقوط غرناطة، ص٦٦.؛ هلايلي، حنيفي، الموريسكيون الأندلسيون في المغرب الأوسط خلال القرنين ١٦-١٧م، رسالة ماجستير، جامعة وهران- كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، وهران – الجمهورية الجزائرية، ٢٠٠٠، ص٣٠؛

Pons, Moriscos, P.28; Arenal, Marcedes Garcia, Los Moriscos, Editora Nacional, Impreso en Edicions castilla, Madrid- Espana, 1975, P.29.

٢٥. وقائع، ج١، ص١٥٨.

٢٦. المصدر نفسه، ج١، ص١٦١-١٦٣.؛ حامد، الموريسكيون، ص٩٧؛ الكتاني، انبعاث، ص٦٢.؛ الكحيل، المعتبر من الأخبار عن سقوط غرناطة، ص٦٧.

٢٧. أرينال، مرثيدس غارثيا، الموريسكيون الأندلسيون، ترجمة وتقديم، جمال عبد الرحمن، ط١، مطبعة الشؤون الأميرية-المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة-جمهورية مصر العربية، ٢٠٠٣، ص٣٩و٤١؛ الأسدي، المسألة الموريسكية،ص٩.

Aguilera,Manuel Barrios,Granada Morisca, La Convivencia Negada,Editorial Comares, Impreso en Granada-Espana,2002,p.188.

٢٨. الحسني، الموريسكيون، ص١١٣و١١٤، مظهر، محاكم التفتيش، ص٢٣، عناد، وجدان فريق، البعد التاريخي

لمصطلح الموريسكيون، مجلة دراسات تاريخية، المجلد٣، العدد٣، بغداد- العراق، ٢٠٢١، ص٢٨-٣٢.

Harvey, Muslims in Spain, PP.14-35

٢٩. الكتاني، انبعاث، ص٦٣و ٦٤؛ ؛ مظهر، محاكم التفتيش، ص٢٦؛ مُحَمَّد، موقف الدولة العثمانية، ص٥١. الكحييل، المعتبر من الأخبار عن سقوط غرناطة؛ ص٦٨.المومن، مُحَمَّد عبد،مرسوم التنصير الإجباري الصادر بتاريخ ١٧ فبراير ١٥٠٢م، دورية كان التاريخية، العدد الثالث والعشرون، السنة السابعة،٢٠١٤،ص١٢٩-١٣١.

Harvey,Muslims in Spain, P.P.22 and 204.; Ferrin, historia, P.513.

٣٠. اريبالو، مانثيبو، تفسير، مخطوط بلغة الخميادو في مكتبة مركز البحوث العلمية والإنسانية تحت رقم (Resc/ ٦٢) ص٤٤٢v-٤٤٠v، ومطبوعة حالياً باللغة الاسبانية بعنوان:

Tafsira, Mancebo de Arevalo, Edicion de Maria Teresa Narvaez Cordova, Editorial Trotta, S.A,2003.

الدراجي، عدنان خلف سرهيد، دراسات أندلسية موريسكية اسبانية، ط١، مطبعة بيت الحكمة، بغداد- العراق، ٢٠٢٠، ص١٢٣-١٣٠.

٣١. الكتاني، انبعاث، ص١٨٩.؛ بيرينز، جوزيف، التاريخ الوجيز لمحاكم التفتيش باسبانيا؛ ترجمة: مصطفى امادي، ط١، مطبعة كلمة، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٢، ص٧٤-٧٧.

Harvey,Muslims in Spain, PP.6-8

٣٢. ينظر في المبحث الثالث.

٣٣. باروخا، مسلمو مملكة غرناطة، ص١٦٠، الحسني، الموريسكيون، ص١١٨-١٢١؛ عنان، نهاية الأندلس، ص٣٦٠؛. حامد، الموريسكيون، ص٩١-٩٩؛ أرينال، الموريسكيون،ص٥٣؛ كاربخال، وقائع، ج١، ص١٨٧-١٨٩.

٣٤. فيليب الثاني Philip II: هو ملك اسبانيا والبرتغال وزعيم الإصلاح الديني الكاثوليكي، استطاع توسيع حدود الإمبراطورية الاسبانية وعرف عصره بالعصر الذهبي، اصدر عدة قرارات ضد الموريسكيين، توفي عام ١٥٩٨م. للمزيد من المعلومات ينظر: لودر، دوروتي، اسبانيا- شعبها وأراضيها، ترجمة: طارق فودة، بلا طبعة، مكتبة الإسكندرية، مؤسسة فرانكسلين للطباعة والنشر، القاهرة - نيويورك، ١٩٦٥، ص٩٠-٩٥.؛ الحسني، الموريسكيون، ص١١٨-٢٢١؛

The New Encyclopadia Britannica, 15th Edition, Chicago – USA, 2003, V9, PP. 376-377.

٣٥. هو: مُحَمَّد بن أمية لُقِبَ بملك غرناطة وهو من الموريسكيين يعرف في المصادر الأجنبية باسم (Fernando de Valor) ويعود أصله إلى الخلفاء الأمويين في قرطبة، قادَ ثورة ضد الملك فيليب الثاني، توفي في عام ١٥٦٩م. للمزيد من المعلومات ينظر: باروخا، مسلمو مملكة غرناطة، ص١٧١.؛ عنان، نهاية الأندلس، ص٣٦٥؛

Harvey, Muslims in Spain, P.P.219. Ferrin, historia, P.P.518-520.

٣٦. الكتاني، انبعاث، ص٩٢-٩٨؛ الحسني، الموريسكيون، ص١٢٤و١٢٨؛ عنان نهاية الأندلس، ص٣٦٢؛ مظهر، محاكم التفتيش، ص٣٨و٣٩.

37. Pons, Los Moriscos,P.42;

٣٧. حامد، الموريسكيون، ص١٦٣.

٣٨. باروخا، مسلمو مملكة غرناطة، ص١٨١-١٩٦؛ كاربخال، وقائع، ج١، ص٣٠٩-٥٤٧؛ ج٢، ص٢٠٩-٣٠٢؛ أرينال، الموريسكيون، ٦٩-٧١؛ الكتاني، انبعاث، ص٩٩-١١٥.؛

Harvey, Muslims in Spain, P.P.216-424.

٣٩. كاربخال، وقائع، ج٢، ص٣٧٥-٤٦٠، عنان، نهاية الأندلس، ص٣٧٠؛ الكحييل، المعتبر من أخبار سقوط الأندلس، ص٧٤.

٤٠. كاربخال، وقائع، ج٢، ٤٩١-٤٩٤؛ عويد، ثورة

غرناطة الكبرى، ص١٧٨و١٧٩؛

Pons, Los Moriscos, P.43.

٤١. عنان، نهاية الأندلس، ص٣٧٥و ٣٧٦؛ كاربخال، وقائع، ج٢، ص٥٧٠-٥٢٩؛ الكتاني، انبعاث، ص١١٠-١٢٣؛

Aremtal, Merceds Garcia and Gerard Wiegers, Los Moriscos: expulsion Ydiaspora una perpesctiva internacional, publicacions de la uni yersitat de Valencia, Spain, 2013,P.294

42. Muslims in Spain, P.248

43. Ibid, P.320.

٤٤. كاربخال، وقائع، ج٢، ص٥٠٧-٥٢٩، الكتاني، انبعاث، ص١١٨-١٢٠، الكحيل، المعتبر من الأخبار عن سقوط غرناطة، ص٧٤.

٤٥. التميمي، عبد الجليل، دراسات جديدة في التاريخ الموريسكي، ط١، منشورات: مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، ٢٠٠٠، ص٦١و٦٢ و٧٨.

Aguilera,Granada Morisca,P.203.

٤٦. باروخا، مسلمو غرناطة، ص١٤٥؛ الحسني، الموريسكيون، ص٩٨؛ براتشينا، الموريسكيون، ج١، ص٢٧-٣٠، هلالي، جنفي، حكم هجرة الأندلسيين إلى المغرب العربي من خلال فتاوى الونشريسي، مجلة الحوار المتوسطي، مطبعة دار الأصول للطبع والنشر، عدد٢، الجزائر، ٢٠١٠، ص٤٣.

٤٧. الخمياد وAljamiado: هي لغة أوجدها الموريسكيون باستخدام اللغة القشتالية بأحرف عربية واختلطت بها ألفاظ عربية وأعجمية واستخدمت في الكتابة والتخاطب بشكل سري للمزيد من المعلومات ينظر: براتشينا، الموريسكيون، ج٢، ص٤٦؛ الكتاني، انبعاث، ص١٩٩-٢٠٥؛

Harvey, Muslims in Spain, P.120 and 129;Ferrin, Historia, P.518

٤٨. اريبالو، تفسير، ص٤٤٣r-٤٤٤v؛ كاربخال، وقائع، ج١، ص١٦٩؛ باروخا؛ مسلمو غرناطة، ص٢٧؛ عنان، نهاية الأندلس ص٣٥٣-٣٥٥. الكحييل؛ المعتبر من الأخبار عن سقوط غرناطة، ص١٣٥.

٤٩. باروخا، مسلمو مملكة غرناطة، ص٤٦و٦٣و١٥٨.؛ براتشينا، الموريسكيون، ج٢، ٤٦-١٣٧.؛ الحسني، الموريسكيون، ص١٢٤و١٢٥، كاربخال، وقائع، ج١، ص١٦٩.؛

Harvey, Muslims in Spain, P.63

٥٠. محاكم التفتيش La inquisicion: هو ديوان التحقيق يعمل فيه عدد من المحققين لملاحقة الخارجين عن الديانة المسيحية والمذهب الكاثوليكي، وطبق هذا النظام في عدة دول أوربية مثل فرنسا وألمانيا وايطاليا خلال القرن السابع الهجري / القرن الثالث عشر الميلادي، وتأسست أول محكمة تفتيش في شبه الجزيرة الأيبيرية عام (٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م) في مدينة اشبيلية ثم انتشرت في باقي مدن الأندلس للمزيد من المعلومات ينظر: الكتاني، انبعاث، ص٦٦؛ الحسني، الموريسكيون، ص٩٧و٩٨؛ مظهر، محاكم التفتيش، ص٥١-٧٧.؛ لودر، اسبانيا، ص١١٧.؛

Harvey, Muslims in Spain, P.103.

٥١. الحسني، الموريسكيون، ص١٨٦و١٨٧، هلالي، حكم هجرة الأندلسيين، ص٤٠؛

Pons, Las Moriscos, P.28.

٥٢. مسلمو مملكة غرناطة، ص٢٥١.

٥٣. الحجري، أحمد بن قاسم (ت: بعد عام ١٩٤٠م)، ناصر الدين على القوم الكافرين، تحقيق وتقديم وترجمة: قاسم السامرائي وآخرون، بلا طبعة، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية- الوكالة الاسبانية للتعاون الدولي، مدريد، ١٩٩٧، ص١٣٠-١٥١؛ القاسمي، سلطان بن مُحَمَّد، محاكم التفتيش، ط١، منشورات القاسمي، دولة الإمارات العربية المتحدة- الشارقة، ٢٠٢٠، ج١، ص١٥-٥٥؛ الزوبعي، بشرى محمود، محاكم التفيش (١٤٨٠-١٥١٦م)، أطروحة دكتوراه مشورة، ط١،

مطبعة الزهراء، عمان – الأردن، ٢٠٠٥، ص٨١-١٠٤.

٥٤. الحجري، ناصر الدين، ص٢٣-٢٤.

٥٥. كاربخال، وقائع، ج١، ص١٦٨؛ مطلوب، من العبادات الاكثر رسوخاً، ص٦٣-٦٥، مطلوب، قيس فاروق صالح، من العبادات الأكثر رسوخاً في حياة الموريسكيين صيام رمضان وعيد الفطر المبارك ((دراسة تاريخية))، مجلة الإكليل للدراسات الإنسانية، العدد٧، العراق، ٢٠٢١، ص٦٢.

Harvey, Muslims in Spain, P.P.69-70; Arenal, Los Moriscos, P.30.

٥٦. الونشريسي، أحمد بن يحيى (ت:٩١٤هـ/ ١٥٠٨م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقيا والأندلس والمغرب، تحقيق: مُحَمَّد حجي، بلا طبعة، دار الغرب الإسلامي، الرباط – بيروت، ١٩٩٠، ج٢، ص١١٩-١٢١.

٥٧. المصدر نفسه، ج٢، ص١١٩-١٣٨، الدراجي، دراسات أندلسية، ص١٣٢؛ هلالي، حكم هجرة الأندلسيين، ص١٣٢.

٥٨. الكتاني، انبعاث، ص٧١-٧٢؛ فضل، صلاح، ملحمة المغازي الموريسكية- دراسة في الأدب الشعبي المقارن، ط٢، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، ١٩٩٢، ص٣٠و٣١.؛ حامد، الموريسكيون، ص١٩٨و١٩٩.

٥٩. للاطلاع على فتوى وهران ينظر: عنان، نهاية الأندلس، ص٣٤٢-٣٤٤، الكتاني، انبعاث، ص٧١و٧٢؛ الكحييل، المعتبر من الأخبار عن سقوط غرناطة، ص٨٨-٩٠.

60. Harvey, Muslims in Spain, P.61.

٦١. الكتاني، انبعاث، ص١٤٧و١٤٨؛ براتشينا، الموريسكيون، ج١ص٣٦وص٣٨، ج٢، ص٤٥؛ مظهر، محاكم التفتيش، ص٣٩و٤٠.؛ حامد، الموريسكيون، ص١٦٨و١٦٩و١٧٢

Villanueva, Francisco Marquez, El Problema Moriscos (Desde otras Laderas), Torras papely Impreso en Espana- Madrid, 1991, P.127.

٦٢. فيليب الثالث – Phillip III: هو ملك اسبانيا والبرتغال تسلم الحكم بالوراثة عن أبيه فيليب الثاني، كان ناجحاً في سياسته الداخلية والخارجية، اشتهر بقرار الطرد ضد الموريسكيون، توفي في عام ١٦٢١م. للمزيد من المعلومات ينظر: لورد، اسبانيا، ص٧٥-٩٧.

The New Encycolopedia, V9. P.P.377-378.

٦٣. الكتاني، انبعاث، ص١٥٦-١٦١؛

Harvey, Muslims in Spain, P.P.296-301.

٦٤. الحجري، ناصر الدين، ص١٤٦.؛ باروخا، مسلمو مملكة غرناطة، ص٢٢٥و٢٢٦.؛ براتشينا، الموريسكيون، ج٢، ص٥٤ و ١٣٢ و ١٣٣؛ الكحييل، المعتبر من الأخبار عن سقوط غرناطة، ص٩٥.؛ الدراجي، دراسات أندلسية، ص١٣٤.؛

Villanueva, El Problema Moriscos, P.P.141-156.

65. Harvey, Muslims in Spain, P.250.

٦٦. الحجري، ناصر الدين، ص١٥١.؛ براتشينا، الموريسكيون، ج١، ص٢١و٣٤و ج٢، ص١٩٦، الحسني، الموركيسيون، ص٢١٥و٢٠١٦؛الكتاني، انبعاث، ص١٦٢؛أرينال،الموريسكيون،٢٢٥-٢٣٢.

Epalaza Mikel Los Moriscos antes Ydespas de la expulsion Editorial Maffre Impres en Espana ١٩٩٢ P.P.١٣٥, ١٢٦.

٦٧. الحجري، ناصر الدين، ص٤٥.

٦٨. باروخا، مسلمو مملكة غرناطة، ص٢١٦-٢٢٧.؛ عنان، نهاية الأندلس، ص٤٠٠و٤٠١؛ الكحييل، المعتبر من الأخبار عن سقوط غرناطة، ص١٠٦، مظهر، محاكم التفتيش، ص٤٣و ٤٤؛

Arenal, Los Moriscos : expulsion ydias-

pora, PP. 300-303.

٦٩. ينظر إلى: الحجري، ناصر الدين، ص١٥٣و١٥٤.؛ الكتاني، انبعاث، ص١٦٣-١٧٠؛ باروخا، مسلمو مملكة غرناطة، ص٢٢٦.؛

٧٠. مظهر، محاكم التفتيش، ص٤٢، الكتاني، انبعاث، ص١٦٦.؛

Harvey, Muslims in Spain, P.P.314-316.
Pons, Las Moriscos, P.120.

٧١. الكتاني، انبعاث، ص١٧٧و ١٧٨؛ أرينال،الموريسكيون،٢٣٧و٢٣٨.

Harvey, Muslims in Spain, PP.367&368.
Pons, Las Moriscos, P.116.

٧٢. الحجري، ناصر الدين، ص٤٥.

٧٣. الكتاني، انبعاث، ص١٧٧و ص١٧٨.

Pons, Las Moriscos, PP.169-172.

٧٤. باروخا، مسلمو مملكة غرناطة، ص٣١٤-٣١٦.؛ عنان، نهاية الأندلس، ص٤٠٢، هورتز، انطونيو دو منفير و براند بنشنت، تاريخ مسلمي الأندلس الموريسكيون، ((حياة ومأساة أقلية))، ترجمة، عبد العال صالح طه، ط١، دار الأشراف للطباعة والنشر، الدوحة – قطر، ١٩٨٨، ص٢٢٩-٢٣٣.

٧٥. باروخا، مسلمو مملكة غرناطة، ص٢٣٠و ٢٣١؛ الكتاني، انبعاث، ص٢١٠و ٢١١؛ عنان، نهاية الأندلس، ص٤١١-٤١٣؛ الكحيل، المعتبر من الأخبار، ص١١٥و ١١٦؛ هلايلي، الموريسكيون الأندلسيون، ص٧٦؛ هورتز، تاريخ مسلمي الأندلس، ص٢٥٤.

Maranon, Gregerio, Expulsion Y Diaspora de Los Moriscos Espanoles, Fundacion: Gregorio Maran on, Impeso en Espana- Madrid, 2004, PP.187-188 and 195.

٧٦. التميمي،دراسات جديدة في التاريخ الموريسكي،ص٧٩

Maranon, Gregerio, Expulsion Y Diaspora de Los Moriscos Espanoles, Fundacion: Gregorio Maran on, Impeso en Espana- Madrid, 2004, PP.187-188 and 195.

History of the Moriscos in the city of Granada

Prof. Dr. Maher Sabri Kadhim
Mustansiriyah University / College of Arts

Summary

This research includes a study of the end of Islamic rule in Little Andalusia, represented by the Sultanate of Granada in the year (897 AH / 1492 AD), during which Andalusian Muslims continued to practice their daily lives until the Christian authorities began issuing unjust decrees and decisions against them, forcing them to convert to the Christian religion, abandon the Arabic language, change previous customs and traditions, and prevent The use of Islamic clothing, abandoning all the pledges it had made in the handover treaty. As a result of this dilemma, some of them acquiesced and were known as the Moriscos or the new Christians.

Others objected to these decisions, and carried out several revolutions, the most important of which was the Great Granada Revolution in the year (976 AH/1568 AD), and as a result, the Moriscos were expelled. From the city of Granada, the Moriscos' suffering from the actions of the Inquisition increased, and in the end, the Christian Church and the Spanish state were convinced to issue a decision to expel all Moriscos from the Iberian Peninsula in the year (1018 AH / 1609 AD).

Keywords: Muslims - Moriscos - Spaniards - Inquisition - Islamic fatwas – expulsion.